الشباب و الهدف

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣].

نحن في الخطبة الرابعة عشرة من سلسلة قضايا الشباب, تحدثنا: لماذا هذه السلسلة، الشباب في القرآن الكريم، الشباب في حديث سيدنا محمد ﷺ ، الشباب والعلم، الشباب والعمل، الشباب والمسجد، الشباب والعفة، الشباب ووسائل الاتصال الحديثة، الشباب وبر الوالدين، الشباب والحب, وعنوان خطبة اليوم: الشباب والهدف.

ما هدفك في الحياة؟ ما الذي تريد أن تحققه قبل أن تموت ؟

أن تأكل وتشرب, وتتزوج وتنجب, وتسكن داراً مناسبة؟

كثير من المخلوقات الدنيا تأكل وتشرب, وتتزوج وتنجب وتسكن ما يناسبها.

الهاء والدال والفاء أصلٌ في اللغة يدل على ارتفاع وعلو، والهدف: كل شيء عظيم مرتفع.

يقرر علماء الاجتماع أن الإنسان على هذه الأرض محتاج إلى خمسة أشياء, لا بدَّ له منها:

بحاجة إلى عقيدة يعتقدها فإن لم تكن صحيحة كانت فاسدة.

بحاجة إلى قدوة يتأسى بها فإن لم تكن حسنة كانت سيئة.

بحاجة إلى جماعة ينتمي إليها فإن لم تكن صالحة كانت طالحة.

بحاجة إلى هدفٍ يسعى إليه فإن لم يكن نبيلاً كان دنيئاً.

وبحاجة إلى مادة روحية تروي روحه.

عقيدة وقدوة وجماعة وهدف ومادة روحية والشاهد عند الهدف.

وعلماء الاجتماع أنفسهم يستطيعون قياس قدرة المجتمعات على الاستمرار والنمو، أو ذهابها نحو الانهيار والسقوط, وذلك من خلال دراسة أحوال الشباب في هذه المجتمعات اهتماماتهم وأهدافهم.

وفي دراسة طريفةٍ محزنة قالوا: ظلَّ المسلمون في الأندلس ثمانية قرون، ولم يكن البرتغاليون راضين عن وجود المسلمين في الأندلس وأرادوا طردهم إلى المغرب العربي فماذا كانوا يفعلون؟

بدأ البرتغاليون بدراسة اهتمامات الشباب المسلم في الأندلس وأهدافه, وراحوا يرسلون لهذا الأمر الجواسيس، ذات يوم دخل بعض جواسيس البرتغال على مجموعةٍ من الشباب فشاهد خلافاً بين شابين حول مسألة علمية فرجع, وقال: لا تسقط هذه الأمةُ الآن.

ثمّ بعد سنتين عاد، فوجد أن اهتمامات الشباب أيضاً وأهدافهم إيمانية علمية عملية فعاد بنفس النتيجة، لكنه بعد سنوات عاد إلى الأندلس فشاهد شاباً يبكي فسأله: ماذا يبكيك؟ قال: لقد تركتني رفيقتي. هنا أسرع مبشراً البرتغاليين ليقول لهم: الآن يمكنكم أن تنتصروا على المسلمين، وبالفعل سقطت الأندلس وطُرِدَ المسلمون منها.

قال أحد الباحثين في التاريخ: دخلنا الأندلس عندما كان نشيد طارق بن زياد في العبور (الله أكبر), وخرجنا منها لما صار نشيدنا:

دوزن العود وهات القدحا راقتِ الخمرةُ والورد صحا

فما هو هدفك في هذه الحياة؟

يقول الله تعالى في قرآنه الكريم: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19) كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21) ﴾ **[الإسراء:١٨ - ٢١]**

فالآيات تقول: مهما أراد الإنسان من أهداف وسعى لها سعيها فإن الله تعالى سيعينه على الوصول إليها، فضَع لنفسك هدفاً سامياً تخدم به نفسك وأمتك في دينها ودنياها, ولا تكن رجلاً عادياً يعيش لبطنه وفرجه.

في كتب تأهيل المدراء وتدريبهم قصةٌ تربوية نافعة عنوانها "السيد العادي" تقول القصة:

ولد السيد العادي 1901 وكانت درجاته الدراسية دون المتوسط، وتزوج الآنسة "وسيطة" في سنة 1924، ورزق بطفل سماه "العادي الأصغر" وابنة سماها "العادية", قضى أربعين سنة في خدمة لا شأن لها, وشغل عدداً من المراكز التافهة, لم يجرب أبداً أية مخاطرة أو فرصة, وتعمد ألا يطور مواهبه، ولم يشترك مع أحدٍ في شيء ذي قيمة.

كانت شعاراته المفضلة: "لا دخل لي في هذا, ابعد عن الشر وغنِّ له, افرح غني عيش متهني الدنيا ما بدمش لحد".

عاش 60 سنة بدون هدف ولا خطة, ولا رغبات نبيلة ولا ثقة ولا عزمٍ ولا تصميم, عندما مات دفنوه في قبره, وراحوا يسوّون تراب القبر بنعالهم وكتبوا على القبر:

هنا يرقد السيد العادي، ولد سنة 1901 ومات سنة 1961، ودفن في هذه الحفرة، لم تكن له أهداف, ولم يترك أثراً نبيلاً بعده، طلب من الحياة ما تطلبه البهائم فدفعت الحياة ثمنه، ووطئته الرجال بنعالها.

تُرى ما هدفك في هذه الحياة؟ اجعله هدفاً نبيلاً

أيها الإخوة الكرام:

في المواد الإسلامية مادة معروفة لنا جميعاً اسمها "النية", والنية بمعناها البسيط: أن تقول نويت أن أصلي أربع ركعات الظهر, نويت الحج وأحرمت به لله تعالى, نويت صيام غدٍ عن شهر رمضان, والنية بمعناها العميق هي وضع الأهداف الكبيرة والتخطيط لها.

فالذي ينوي أن يقيم مشروعاً خدمياً كبيراً يخدم به أمته وأهله ، يعني أن هدفه هو إنشاء هذا المشروع فهو يخطط له ويعمل وفق ما خطط, ويسهر ويتعب ويقوم ويقعد, وعقله الباطن والظاهر مشغول بهذه النية وهذا الهدف.

لذلك عَرّف العلماء النية في اللغة فقالوا: هي القصد والعزم.

وقد قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى**»[1] من نوى أهدافاً عظيمة نال أجوراً كبيرة، ومن نوى أهدافاً وضيعة نال ما يناسبه.

حدثت كتب التراجم عن الإمام البخاري صاحبِ أصحِّ كتابٍ بعد القرآن الكريم قالت: كان الإمام البخاري يحضر درساً لشيخه إسحاق بن راهويه فقال إسحاق في درسه: تمنيت لو نجمع كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ ، قال البخاري: فوقع ذلك في قلبي وخرجت من المجلس ونويت أن أفعل, ثم أخذت في جمع ما تمنى الشيخ, وعملت ست عشرة سنة حتى أتممت كتابي "الجامع الصحيح".

قال محمد الوراق: رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في المنام يمشي خلف النبي ﷺ والنبي ﷺ يمشي، فكلما رفع النبي ﷺ قدمه وضع البخاري قدمه ذلك الموضع, فأوَّلت ذلك أنه يتتبَّعُ حديث رسول الله [2] ﷺ.

---

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (1), ومسلم في "صحيحه" برقم (4927) من حديث عمر رضي الله عنه .

(2) "تهذيب الكمال" 24/444, مقدمة "جزء من صحيح البخاري بشرح الإمام النووي" ص5.

ذكروا عن أديسون مخترع المصباح الكهربائي أنه كان يتمنى الوصول إلى ما وصل إليه، لكنه فشل مئات المرات, ولامَهُ الكثيرون ممن حوله، غير أنه بقي مُصِرَّاً على العمل للوصول إلى هدفه وقد وصل.

وكذلك هنري فورد فقد أصيب بالإفلاس خمس مرات قبل أن ينجح في اختراع سيارته.

أما سيدنا محمد ﷺ فهو الذي كمَّله الله, وأدّبه الله, وعلّمه الله, ثم أمره أن يقوم مبلغاً الدعوة وكان يومها واحداً لا ثاني له.

قال له: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ [المدثر:1] فقام ﷺ ليجعل نصب عينيه هدفاً في إقامة شرع الله في هذه الأرض, قام ولم يفتر حتى توفاه الله تعالى, فنشر الإسلام في الأرض, وإنك لتعجب عندما تنظر في عدد المسلمين اليوم مليار وثلث المليار، لتقول: كيف يتحول رجلٌ واحدٌ إلى مليار وثلث المليار، لكنك تذكر أن قريشاً عرضوا عليه المال والجاه والنساء لقاء أن يتخلى عن هدفه فقال قولته: «**يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك فيه**» [1].

إنه الهدف الكبير والثبات والصبر, تُرى ما هدفك في الحياة؟

حدثني أحد مدراء الجمعيات الخيرية في الشام قال: في عام 1959 أردنا تأسيس جمعية خيرية نهدف منها إلى إيصال المعونات إلى الفقراء والمدارس الشرعية, وفعلاً بدأنا, كانت أول ميزانية أعددناها للجمعة في ذلك في العام هي 256 ل.س.

واليوم وبعد خمسين سنة الميزانية في العام الماضي 200 مليون ليرة سورية.

بدؤوا بمئتين وصلوا إلى مائتي مليون؛ يعني أن العمل تضاعف مليون ضعفاً.

ضع هدفاً نبيلاً واسْعَ له, وسيعينك الله. فإن لم تصل إلى هدفك فإن الله تعالى سيَأجرك, وسيتمه غيرك.

قال ﷺ: «**من سأل الشهادة بصدقٍ بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**»[2].

إنه وضع الشهادة هدفاً وسعى لها سعيها فنال أجرها.

---

(1) "سيرة ابن هشام" 1/253.

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (4930) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه .

قال ﷺ: «**يحشر الناس على نياتهم**»[1].

في نهاية هذه الخطبة:ما المطلوب من كلٍّ مِنَّا – خصوصاً الشباب–؟

المطلوب خمسة أمور:

1- ضع هدفاً واضحاً محدداً تسعى إليه.

2- اجعل هدفك طموحاً كبيراً يسعدك في الدنيا والآخرة.

3- لا تتهيب صعوبة الطريق.

فمن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفَرْ.

4- ابذل ما استطعت من جهد في سبيل تحقيق هدفك.

5- اصبر واسأل ربك المعونة فإنه سيعينك، وستصل.

والحمد لله رب العالمين

(1) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (9090), وابن ماجه في "سننه" برقم (4230).